

تفسير البحر المحيط

@ 318 @ بالمسمى المشتق منه نحو : تقمص ، والعمل فيه نحو : تسحر ، والاتخاذ نحو :
تبنييت الصبي ، ومواصلة العمل في مهلة نحو : تفهم ، وموافقة استفعل نحو : تكبر ،
وموافقة المجرد نحو : تعدى الشيء ، أي عداه ، والإغناء عنه نحو : تكلم ، والإغناء عن فعل
نحو : توبل ، وموافقة فعل نحو : تولى ، أي ولى ، والختل ، نحو : تعقلته ، والتوقع نحو
: تخوفه ، والطلب نحو : تنجز حوائجه ، والتكثير نحو : تعطينا . ومعنى تلقي الكلمات :
أخذها وقبولها ، أو الفهم ، أو الفطنة ، أو الإلهام أو التعلم والعمل بها ، أو
الاستغفار والاستقالة من الذنب . وقول من زعم أن أصله : تلقن ، فأبدلت النون ألفاً ضعيف
، وإن كان المعنى صحيحاً ، لأن ذلك لا يكون إلا مما كان عينه ولامه من جنس واحد نحو : تطني
، وتقضي ، وتسري ، أصله : تطنن ، وتقضض ، وتسسر . ولا يقال في تقبل : تقبى . وقرأ
الجمهور : برفع آدم ونصب الكلمات ، وعكس ابن كثير . ومعنى تلقي الكلمات لآدم : وصولها
إليه ، لأن من تلقاك فقد تلقيته فكأنه قال : فجاءت آدم من ربه كلمات . وظاهر قوله :
كلمات ، أنها جملة مشتملة على كلم ، أو جمل من الكلام قالها آدم ، فلذلك قدروا بعد قوله
: كلمات ، جملة محذوفة وهي فقالها فتاب عليه . واختلفوا في تعيين تلك الكلمات على
أقوال ، وقد طولوا بذكرها ، ولم يخبرنا إلا بمهمة ، ونحن نذكرها كما ذكرها
المفسرون ، قال ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وابن كعب وعطاء الخراساني والضحاك
وعبيد بن عمير وابن زيد : هي { رَبِّ سَدَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّامُ تَغْفِرْ
لَنَا } الآية . .
وروي عن ابن ابن مسعود ، أن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا حين اقتترف الخطيئة :
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ، لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي ،
فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب فقال : يقول
ما قاله أبواه : (ربنا ظلمنا أنفسنا رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي) وما قاله يونس :
لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين . وروي عن ابن عباس ووهب أنها : (سبحانك
اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي ، فاغفر لي إنك خير الغافرين) . وقال محمد بن كعب
هي : (لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتاب عليّ إنك أنت
التواب الرحيم) . وحكى السدي عن ابن عباس أنه قال : (رب ألم تخلقني بيدك ؟) قال :
بلى ، قال : ألم تنفخ فيّ من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال :
بلى ، قال : ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : رب إن تبت وأصلحت أراجعني إلى الجنة ؟

قال : (نعم) . وزاد قتادة في هذا : (وسبقت رحمتك إليّ قبل غضبك ؟ قيل له بلى ، قال : رب هل كتبت هذا عليّ قبل أن تخلقني ؟ يل له : نعم ، فقال : رب إن تبت وأصلحت أراجعني أنت إلى الجنة ؟ قيل له : نعم) . وقال قتادة هي : (أستغفرُك وأتوب إليك إنك أنت التوّاب الرحيم) . وقال عبيد بن عمير ، قال : (يا رب خطيئتي التي أخطأتها أشياء كتبتة عليّ قبل أن تخلقني ؟ أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال : بل شيء كتبتة عليك قبل أن أخلقك ، قال : (فكما كتبت عليّ فاغفر لي) . وقيل إنها : (سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور) . وقيل : رأى مكتوباً على ساق العرش محمد رسول الله ، فتشفع بذلك فهي الكلمات . وقيل : قوله حين عطس : (الحمد لله) . وقيل : هي الدعاء والحياء والبكاء . وقيل : الاستغفار والندم والحزن . قال ابن عطية : وسماها كلمات ، مجازاً لما هي في خلقها صادرة عن كلمات ، وهي : كن في كل واحدة منهن) ، وهذا قول يقتضي أن آدم لم يقل شيئاً إلا الاستغفار المعهود . انتهى كلامه . .

{ فَتَنَابَ عَلَآيَهُ } : أي تفضل عليه بقبول توبته وأفرده بالإخبار عنه بالتوبة عليه ، وإن كانت زوجته مشاركة له في الأمر بالسكنى والنهي عن قربان الشجرة وتلقي الكلمات والتوبة ، لأنه هو المواجه بالأمر والنهي ،